... عن الثقافة ووزارتها ... في ضوء البكاء ... والضحك البهيج !

بقلم سامي خشبة

من الطبيعي أن يغضب « المثقفون » في مصر بسبب حل الكيان المستقل لوزارة الثقافة (احدى الوزارات التي أنشأتها دولة ٢٣ يوليو) . ومن الطبيعي أيضا أن يعلنوا هذا الغضب ، فيتشكل « وفد » من شيوخهم ، جمع يمينيا معتدلا ، ويمينيا متطرفا ، ويمينيا محدثا ، ويمينيا بالضرورة ، لكي يتوجه لمقابلة رئيس الوزراء لمحاولة الاستفسار منه عما اذا كان الغاء وزارة الثقافة يعني الغاء الثقافة ؟ فلما عرف أعضاء الوفد انه لا نية هناك لالغاء الثقافة بالغاء وزارتها أو الغاء كيانها المستقل، اطمأنوا ، وعادوا لكي يشيعوا الطمأنينة التي أثلجت صدورهم ، ويؤكدوا لكل المثقفين ان الثقافة بخير ، ولا داعي للانزعاج ، وان الهدف من الغاء وزارة الثقافة هو على عكس ما موهت عليهم ظنونهم ، أي ان الهدف هو المحافظة على الثقافة وجعلها ديموقراطية (أي جعلها شيئا يفعله الناس بتلقائية اذا شاؤوا ، فاذا شاؤوا أيضا لم يفعلوه !) .

ولكن من الطبيعي أيضا ألا يقتنع أناس آخرون ، يتصفون بالعناد ، وربما كانوا مغرضين . ويتهمون أحيانا بالتطرف (أي باليسارية) ، فاذا لم يكف هذا الاتهام لاسكاتهم ، فبالعمالة أو الزندقة أو ما شئت من ذميم النعوت . فيكتب هؤلاء العنيدون كلاما عن أهمية وزارة للثقافة في بلد فقير أو في دولة نامية ، لا يمكن أن تكون الثقافة فيها ترفا ، وهي بعد لا تستطيع (أي الثقافة) اذا كانت جادة أن تكون سلعة ، لانها سوف تطرد من السوق غصبا ، وان وجود وزارة للثقافة ليس وقفا على الدول الشيوعية أو تلك التي تسللت اليها الصفات الشيوعية بدليل وجود وزارة للثقافة في اليابان أو في كوستاريكا . ثم لان الثقافة ــ في ظروفنا ــ يجب أن تكون خدمة تقدمها « الدولة » لـ « أبنائها » ولا يتوقفون لحظة حتى يتساءلوا : هل ينبغي أن يكون الناس أبناء للدولة ؟ وما هي الدولة التي تتبنى الناس ؟

المهم ان هؤلاء العنيدون أنفسهم ، هم الذين يكتشفون أثناء التحليل ــ الذي يأتي عادة عندنا بعد أن يبدأ التعبير عن الغضب بوقت طويل ــ يكتشفون أن ليس ثمة كبير فارق بين أن تكون هناك وزارة ذات كيان مستقل للثقافة أو لا تكون ، وان لم يكتشفوا السبب « العميق » لهذا التطابق بين الفعل والفعل .

فالهيئات والشركات والادارات المختلفة التابعة للوزارة موجودة ، لم يمسها شيء ، ونشاطها لم ينقص كثيرا أو قليلا عما كان متوقعا لو ان الوزارة ظلت بكيانها المستقل . ووزير يحمل « لقبها » يجلس في اجتماعات مجلس الوزراء ، ويذهب لافتتاح بعض « المناسبات » الثقافية ، أو التي تشبه المناسبات الثقافية .

ان هيئة السينما توقفت عن انتاج أو الاشراف على انتاج أي نشاط سينمائي منذ وقت طويل . ويقال ان الانتاج السينمائي في مصر كلها هذا العام لن يتجاوز عدده عشرة أفلام طويلة ، ونحو هذا العدد من الافلام القصيرة ، أنتج منها حتى الآن (في الشهر الحادي عشر من العام) ستة أفلام طويلة ، وسبعة أو ثمانية أفلام قصيرة) ، ليس بينها بالطبع فيلم واحد من انتاج « هيئة السينما والمسرح والموسيقى » رغم انها تواظب منذ سنوات عديدة على « اقراض » بعض المنتجين ، وتقوم أحيانا (عن طريق شركة التوزيع التابعة لها) بتوزيع الافلام المنتجة من قروضها ، لتضمن على الاقل أن تستعيد قرضها دون ربح ، حلال أو حرام . هذا بعد أن أعادت « الدولة » لابنائها ، الملاك الاصليين ، معظم استديوهات الانتاج أو تكتفي بتأجير ما ظل بحوزتها للمنتجين من أبنائها ، وأعادت الى الملاك

الاصليين (أبنائها) كل دور العرض ، فالغت عمليا اي وجود فعلي لها في ميدان الفن السينمائي .

وهذه الهيئة نفسها لم تعد تنتج مسرحا يتلاءم مع حقيقة انهـــا تمتلك تسع دور مسرحية في القـاهرة والاسكندرية (احداها تؤجر للفرق الخاصـة بانتظام) وتتبعها خمس فرق مسرحية بعضها له من العمر ستـة وثلاثون عاما كاملة .

في العـام الماضي انتجت الفـرق الخمس ست مسرحيات ، تلاث منها كـانت « غنائية استعراضية » كتبها شخص واحد عن شخص واحد ضد شخص ثالث وضد تراث هـذا الثالث وأعماله الرديئة . وفي العام الحالي لم تنتج هـذه الهيئة سوى مسرحيتين ، في الصيف ، وهي تفكر منـذ شهور في انتاج شيء من المسرح . لان هذه احدى وظائفها على أي حال ، وأخيرا شرعت في اعادة عرض احـدى الغنائيات الاستعراضية من العام الماضي ، واحـدى المسرحيات غير الغنائيـة الاستعراضية من العـام الاسبق ، وما زالت تفكر في انتـاج مسرحيتين مترجمتين في اثنين مـن بيوتنا المسرحية ، لانه : « لا توجد نصوص صالحة » بشهـادة « المكاتب الفنية » من « أهل الرأي » .

وهذه الهيئة نفسها مهتمة ـ وهذه شهادة حق ـ بالموسيقى والغناء . فهي تقيم مرة كل أسبوع في الشتاء. ومرة كل شهر في الصيف . حفـلا للموسيقى والغنـاء العربيين . وتقيم في الشتاء حفلات لاوركسترا القاهرة السيمفوني (فان للقاهرة أوركسترا سيمفونيا ، اذا لم يكن أحد يعرف ، فتأملوا) ، وستضيف أيضـا بعض الفرق الموسيقيـة الاوروبية أو الاميركية . لتقديـم كونسيرتات (حفلات عزف وسماع) لتقديم أعمال مختارة من الموسيقى الغربيـة الكبرى أو الحديثة الخفيفة) . وفي هذا الصدد ، نعجل بذكر ما تتميز به الموسيقى من علاقة واهنـة بالتفكير العملي أو النقدي في الحيـاة والواقع ، وعلاقتها بأي موقف «نقدي» مباشر من الحياة والواقع لا تكاد توجد ، خاصة اذا كانت موسيقى غريبة عن المكان والزمان ، أو اذا كانت موسيقى تعزف عـلى سبيل التطريب وحده ، وفي سياق يعزلها عن أي « فن مفكـر » .

ونستطيع أن نسرد أشياء مشابهة عن الهيئـات الاخرى ، التابعة لوزارة الثقافة (حينما كان لها كيـان مستقل) والتي أصبحت تتبـع وزارة التعليم والبحث العلمي والتعليم العالي والثقافة ، المسؤولة عن انشطـة الفنون الجميلة ، أو الثقافة الجماهيرية ، أو عـن نشر الكتب وتوزيعها ... الخ .

ولكننا لن نستطيع أن نقـول الشيء نفسه عن « الاكاديمية العليا للفنون » التي تضم معـاهد للفنون المسرحية والسينما والموسيقى (يسمى كونسيرفاتوار ، من باب تعريف الشيء باسمه وليس من باب المباهـاة أو التفرنج) والباليه (تخيلوا !) .

فهذه الاكاديمية بمعاهدها ما تزال تعمل : تعقد في كـل سنة « امتحانات » لاختبـار قدرات ومواهب واستعدادات الراغبين في الالتحاق بها ، وتقبل في كل سنة ما بين ألف الى ثلاثة آلاف طالب وطالبة ، المفروض انهم سيتعملون فيها أشيـاء كثيرة عن فنون المسرح والسينما والموسيقى والرقص ، من تاريخ الى تنفيذ . ومن تأليف الى نقد ، ومـن اخراج الى عزف ، ومـن سيناريو الى تصوير ، ومن ديكـور الى كوريوغراف ، ومن اضاءة الى صوتيات ، ومن فلسفة الى علم جمال ، ومن القاء الى اداء ، ومن أدب الى دراما .. الخ .. الخ.

وفي كل عام يتخرج من هـذه المعاهد ألف الى ألفي شخص ، دربوا على كل هـذه « المهن » الفنية ، يضـافون الـى عشرات الالوف من الجامعيين ، الذين يفترض انهم تعلموا كثيرا ، وأصبحوا «مثقفين» ، وذلك طبقا للفهم الشائع الآن الذي يسوي بين المتعلم والمثقف. ولكن ما يهمنا ، هو ان هذا المتعلم ، لا شك ان من حقنا أن ننتظر منه أن يكون « محتاجا » الى غذاء « عقـلي » وروحي من نوع خاص ، ومختلف قليـلا عما يمكن أن تتيحـه له أدوات « التغـذية الثقافية » ، العقليـة والروحية . المتوافرة الآن في مصر .

والمدهش هو ان ما نراه الآن ، من « الثقافـة في مصر » ينقض تماما تلك المقولة الشكلية : مقولة أن يحتاج المعلم المصري . في اطاره الاجتماعي الراهن ، غذاء عقليا وروحيا من نوع مختلف عما تتيحه منـابر تتراوح بين الشيخ كشك وفايز حلاوة ، وبين مجلـة « الدعـوة » (التي يصدرها الاخوان المسلمون) أو مجلة « الاعتصام » (وتصدرها فرقـة أخرى منهم) ومجـلة « البعكوكة الجديدة » ، وبين أغـاني كتكوت الامير وأفلام فريـد شوقي ، وبين موسيقى « النيوجيتس » ـ وهذا اسم فرقة موسيقى مصريـة تنافس محمد نوح ـ ورقص نجوى فؤاد وتابعاتها ، وبين مسرح بهجت عمر وتمثيل سعيد صالح . ان مجرد « اتساع عقل » الفن الريفـي أو الحضري بالتعليم ، لا يعادل تأثيره ما يؤدي اليه هذا النمط ذاته من التعليم من تأثير اجتماعي ، وهو تحول هذا الفتى البسيط ، المتعلم ، الى بورجوازي صغير من النوع المصري ، زاده « العقلي والروحي » الاساسي يأتيه من تلك المنابر ـ ونوعها ـ بالذات ، ولا يطمح ولا يشعر بالاحتياج الى زاد عقلي أو روحي من نوع آخر ، لانـه يعيش المستوى الاجتماعي ، ونـوع الحياة والعمـل ، ويمارس العلاقات الاجتماعية (السياسية / الاقتصادية / الاسرية) ويتبنى منظورا فكريا ويخضع لنسق من القيم

الاخلاقية والجمالية ولمفهوم اقتصادي سوقي ، ولدعاية مركزة . ويعيش تمزقا بين لغة التفكير ولغة الكلام . وبين الشعارات ومعانيها وبين تجسداتها في الواقع . تجعله كلها عاجزا عن استهلاك أو عن انتاج أي نوع من الثقافة الا تلك الانواع ، استهلاكا وانتاجا نمطيا وسائدا ورائجا . بالطبع مع استثناءات لها منطقها الخاص .

انها من جديد مشكلة انحطاط ثقافة الطبقة المتوسطة المصرية ، نتيجة طبيعية لانحطاطها العام بفعل عوامل تاريخية يمكن دراستها ومعرفتها . وليست القرارات الادارية ، الا تعبيرا بسيطا عن ذبذبات الخط المتعرج ، لمسيرة ذلك الانحطاط .

ولا ينبغي أن يخدعنا ، مثلا . اقبال خمسين ألفا ، او مائة ألف شخص ، على شراء الكتب من « معرض القاهرة الدولي السنوي للكتاب » فنتوهم ان للكتاب سوقا رائجة في مصر ، ذلك لان القاهرة والاسكندرية (أكبر مدن القطر وحيث تقام السوق على مدى شهر واحد كل عام) تضمان قرابة عشرة ملايين من السكان (ربع سكان القطر تقريبا) بينهم ما لا يقل عن النصف من هؤلاء المتعلمين البورجوازيين (هم في الحقيقة أيضا نحو نصف كل المتعلمين البورجوازيين في مصر) القادرين (قدرة اقتصادية) على شراء بعض الكتب كل عام . فاذا تبينا ان واحدا فقط من بين كل خمسين من هؤلاء « المتعلمين » هو الذي يذهب الى سوق الكتاب ، وأدخلنا في الحساب ان أكثر من نصف هذا الواحد في الخمسين ، يذهبون لشراء كتب تتعلق بأعمالهم أو دراساتهم أو تخصصاتهم مباشرة (أي لشراء كتب لا تدخل في باب الرغبة في المعرفة العامة والحصول على ثقافة شاملة خارجة عن دائرة المعرفة التخصصية ، وان كانت ضرورية لها حتى تكون المعرفة التخصصية انسانية لا حرفية ، وجدانية لا مجرد استثمار يدر مباشرة ربحه المحسوب) ، اذا فكرنا في كل ذلك لتبينا مقدار « ضخامة » سوق الكتاب في مصر ...

وتستطيع بالطريقة نفسها أن تتبين درجة اقبال « الجمهور » نفسه على المسرح « الجاد » أو على السينما الجادة ، أي على أي فن أو انتاج ثقافي له علاقة بنقد الحياة ومحاولة فهمها ، أو له علاقة — حتى — بالافكار والمعاناة الانسانية ، مطروح أو مؤلف في تعبير وصياغة فنيين وجماليين راقيين .

وتستطيع أن تستخدم مقاييس جزئية أخرى كثيرة لكي تتبين درجة تأثير وجود « وزارة للثقافة » منذ نحو عشرين عاما ، على عقلية هذه الطبقة التى كانت جهود هذه الوزارة موجهة اليها أساسا .

تستطيع مثلا أن تستخدم مقياسا : نوع اللغة السائدة على السنة غالبية المتكلمين والمحدثين في اذاعة وتليفيزيون القاهرة ، ودرجة القدرة على التعبير عن أية فكرة أو واقعة خارجة قليلا . أو أكثر تعقيدا قليلا عن دائرة أفكار ووقائع الحياة اليومية العادية ، سواء كان المتكلمون من العاملين « المحترفين » في هذين الجهازين (وحتى في اداراتهما واقسامهما) ذات العلاقة المباشرة بالثقافة — أي بالمعرفة الشمولية القادرة على استيعاب جزئيات وجوانب الحياة وتقديم تفسير متكامل لها — أو كان المتكلمون من « الضيوف » الذين يستضافون لانهم أصحاب « خبرة » في مجالهم ، يؤخذ رأيهم فيما يراد اثارته من مشكلات أو قضايا . سوف تدهشك قلة عدد المفردات التي يستخدمها هذا المتخصص ، بقدر ما ستدهشك حدود قدرته على صياغة « العلاقات » بين مفرداته القليلة ، ولكن دهشتك ستزداد حتما حينما تصل المسألة الى تقييم تصوراته عن علاقة تخصصه بأي مجال آخر من مجالات المعرفة ، وحتى بأشد هذه المجالات قربا من مجال تخصصه (وفي تصور مثل هذه العلاقة ، تبدأ الدرجة الاولى من درجات « وعي » الانسان ، وتحوله من متعلم ، متخصص فقط ، الى متخصص « مثقف » يملك تصورا شاملا عن العالم تتماسك فيه ظواهره وميادين تجلياته) .

انني لا أتحدث عن مجرد مأساة « المتخصص » في عالم الاحتراف الفرعي الذي يفرض البناء الاقتصادي الانتاجي للرأسمالية ، وانما أتحدث عن نوع خاص من المأساة نفسها . ينعزل فيه المتخصص عن ثقافة أمته ثم عن ثقافة العصر « الخاص » بهذه الامة ، مع انعزاله عن الثقافة الانسانية العامة ، لكي يصبح اغترابه ثلاثي المراحل ، بدلا من الاغتراب ذي المرحلة الواحدة الذي يعيشه المتخصص الغربي العادي .

وتستطيع أيضا أن تستخدم مقياسا ثانيا : نوع الاغاني السائدة أكثر من غيرها (وللاغنية الشائعة أهميتها : انها نوع من الشعر السهل الممتزج بالموسيقى البسيطة والاداء الايقاعي .. هكذا يفترض . فيفترض أيضا انها تعبير — رغم فنيته — أشد ما يكون تلقائية وقربا من روح الامة وتعبيرا عن ثقافتها) فهي اعراب مباشر عن مستوى اللغة ، وعن نوع الخيال وأنواع التطورات ، وعن مستوى الحساسية ومصادر التأثر ومنابع الانفعال العاطفي والتطور الوجداني ومستواه والذوق الجمالي ورهافته .. لدى من يبدعونها ومن يرددونها معه أو بعده . وسوف تدهشك الاغاني المنتشرة أكثر من غيرها بين « المتخصصين » أو « التكنوقراط » — بالتعليم أو بالخبرة ، وأعني فئة تضم أطباء ومهندسين ومحامين ومديرين ، وحرفيين من مهن كثيرة أصبحت تصعد بسرعة درجات السلم الاقتصادي ، سباكين وعمال صيانة وأصحاب ورش صغيرة أو كبيرة .. الخ.

ستدهشك هذه الاغاني حينما تتأمل مفردات

وعبارات أغاني أشهر مطربي مصر في السبعينات . أحمد عدوية (وله الآن أشباه كثيرون . أشهرهم كتكوت الامير ـ وكلاهما ممنوع من الاذاعة . ولكن السينما وأشرطة التسجيل « الكاسيت » تضمن لهما ذيوعا وثراء قاعدته في علب الليل وقوامه في شركات انتاج الافلام وأشرطة التسجيل ؛ وبالمناسبة . فان مؤلف أغاني أحمد عدوية ؛ يدعى المعلم سيد بيرة !) . أقول ان مفردات وعبارات هذه الاغاني ستدهشك ، أو قد تصدمك . قبل أن تدهش ؛ حينما تحاول اكتشاف معانيها . وبعد ذلك يحق لك أن تتعجب من مدى ـ وسرعة ـ انتشار أشياء لم تكن لتخطر على بال من انتقدوا أغاني « انحطاط الستينات » الذي كان قد بدأ ينمدد كالوباء منذ هزيمة ١٩٦٧ .

لقد حدث مرة أن أعجبتني (شخصيا) كلمات الشاعر الرومانسي العظيم ألكسندر بلوك . في تحليله لسيكولوجية الروس عقب هزيمتهم عام ١٩٠٥ ؛ حينما قال ان البورجوازية الروسية المهزومة ؛ التي رأت مثلها العليا تمرغ في الوحل قد ركبها شيطان الضحك والسخرية ؛ فراحت تغسل بوحول أكثر قذارة ما كان قد نبغى في روحها من ايمان بأي نوع من القيم . وكنت أظن ان بلوك كان يتحدث وليس في ذهنه سوى الهزيمة العسكرية (القومية) التي لقيتها جيوش روسيا القيصرية أمام اليابان . ولكنني مع نظرة متأنية أخرى في دراسة بلوك ، تبينت انه كان يتحدث عقب هزيمة الثورة الديمقراطية في السنة نفسها (١٩٠٥) . ان انهزام هذه الطبقة في معركة الليبرالية ، أو سقوط الليبرالية العاجز بسبب وهن تمسك الطبقة نفسها بالحرية ؛ هو الذي يجهز على روحها ، بعد أن يكون سقوط أحلامها القومية (من وجهة نظرها) قد أثخن تلك الروح بالجراح وان لم يقتلها . ومثل هذه الطبقة (ذات الطموح الى التوسع لا يتوازى مع قدراتها ، والضعيفة اقتصاديا وسياسيا رغم طموحها الى التوسع ، ووارثة ميراث اجتماعي وثقافي بالغي التقعد والتشوه لم تواصل محاولاتها الباكرة لعلمنته وفهمه) تعجز أصلا عن افراز « ليبرالية » حقيقية أصيلة ، وتعجز بالتالي عن التمسك بالقيم الليبرالية (المفروض « نظريا » انها قيمها هي) بقدر ما تعجز عن غرس هذه القيم في عربة مجتمعها . انها لا تعجز عن تغيير واقعها بالصدفة ، وانما هي تعجز عن ذلك لانها ولدت في الاصل عاجزة ؛ ورفضت ـ لعجزها لا لمكرها ـ أن تنسلخ عن عالم الاستبداد والقهر والخرافة القديم . ولقد رأيناها وهي تحاول اقناع ركائز ذلك العالم المعاصرة بأنها الحليفة المخلصة لها ، ثم بأنها « ابنتها » الشرعية وسلاحها القادر ؛ فلما رأت ان تلك الركائز المتعالية لا تريد منها الا أن تكون خادمة وعاهرة (بمثل ما نظرت أرستقراطية روما مالكة العبيد التجارية الى بورجوازيه اليونان المتعلمة . او بمثل ما نظرت الارستقراطية الاموية والعباسية الى من ورثتهم من متعلمي الموالي . وخصوصا فارس القديمة) لما رأت ذلك . حاولت جاهدة أن تتمرد . وان تتحول بنفسها الى ركيزة مستقلة للاستبداد والقهر والخرافة .

انها جاهزة لاقامة استبداد الضعفاء . ولا تمر بالمراحل الزاهرة القوة التي عاشتها البورجوازيات الاوروبية التي انتجت (في مراحل طمأنينتها) ثقافات الغرب البورجوازية العظيمة ؛ سواء كانت عظيمة الرجعية او عظيمة التحرر . وانما تصل مباشرة الى ضرورة الاستبداد كما وصلت البورجوازيات الاوروبية الى تلك الضرورة في العشرينات والثلاثينات ؛ وكما توشك أن نصل في عقدنا الحالي أو في الثمانينات .

وبورجوازيتنا جاهزة لاقامة استبداد الضعفاء أيضا لانها احتفظت بأدوات الاستبداد الموروثة من العصور السابقة (وأنا أتحدث هنا عن الادوات «الثقافية» وحدها للاستبداد) . احتفظت بالامية ، وبالنزعة الحرفية للمتعلمين . وبالقيم الاجتماعية الاخلاقية المركبة ، الموروثة من مجتمعات البدو ومجتمعات رعاة أواسط آسيا في القرون الوسطى الاسلامية . ومجتمعات صغار الفلاحين المقهورين عبر ألوف عدة من السنين ... بل انها بالغت في الحفاظ على هذه الادوات ، الى درجة انها « دافعت » عنها في الحقيقة حتى وهي تستخدم ضدها ، لكي تثبت لخصومها القدماء انها لا ترفض كهنوتهم كما رفضت البورجوازيات الاوروبية طوال قرني التنوير كهنوت أسلافها الى أن ذبحتهم في ثوراتها الكبرى وقبل أن تجدد لنفسها الكهنوت المناسب لعصرها ولاغراضها الخاصة . لقد جاهدت « ليبراليتنا » لكي تثبت لـ « خصومها » القدماء انها خرجت من تحت معاطفهم بالذات : تأملوا البنيان الفكري الكامل لواضعي الاسس الاولى لليبرالية المصرية ، قاسم أمين أو لطفي السيد أو الامام محمد عبده على سبيل المثال ، لكي نكتشف تناقضات كثيرة من نوع التناقض بين الدعوة لتعليم المرأة وبين رفض حقوقها السياسية وحقها في العمل ورفض مساواتها الاقتصادية والشرعية بالرجل ، والتناقض بين شعار الوطنية ، و « القومية المصرية » ، وبين تصور ان الجذور الثقافية والحضارية لهذه القومية انما تكمن عبر البحر الابيض المتوسط في نفس أرض الثقافة الغربية ، أو التناقض بين التفسير العقلي لأسس الاسلام في الفقه والشريعة والالهيات والايمان بأهمية « التعليم » لتطور الامة السياسي ؛ وبين رفض نتائج العلوم البحتة اذا اقتربت من وضع مفهوم طبيعي شامل للكون ورفض التعليم للعامة (محور الامية) على أساس انه : لا تلقنوا أبناء السفلة العلم !

ان هذا التراث الثقافي (أو الايديولوجي في الحقيقة) المتناقض لطبقتنا المتوسطة ، هو الذي أنتج التناقض الذي نراه الآن ، وأبصرنا جذوره منذ سنوات طويلة : انشاء كونسيرفاتوار ومعهد للباليه (للتخصص في تدريس واشاعة أنواع من الموسيقى الغربية) مع عجز عن تطوير مركز للدراسات العلمية في تراث آدابنا وفنوننا الشعبية ؛ وانشاء « أكاديمية للفنون » وسلسلة من « الجامعات » الاقليمية محدودة القيمة العلمية ولا تجد ملاكات كاملة « محترمة » من الاساتذة والادوات الدراسية الجامعية الحقيقية ، مع تعويق مستمر لأية خطة فعلية لمحو الامية ، بانشاء أكبر محطة اذاعة في العالم (أو ثاني أكبر محطة على ما أذكر) لا تكاد تجد فيها عشرة أشخاص يحسنون نطق لغة أمتهم ، انشاء واحد من أحدث « مراصد » العالم الفلكية يشغله « متخصصون » يتابعون أحدث منجزات علمهم في العالم ، وينتظرون شهادة رؤية الهلال بعيون جماعة تكاد أمراض الرمد المختلفة أن تكون « ترائا » موقوفا عليهم ، وضع برنامج كبير (يقع في نحو الف صفحة) لتطوير عمل وزارة الثقافة ، لكي نصل في خلال أقل من خمس سنوات الى الغاء وزارة الثقافة من أصلها .

* * *

هكذا تكتمل تلك الدراما ، بتقابل عنصر من المأساة والملهاة . ففي مثل هذا النوع من « التاريخ » لا تتجلى معاني المبكي من المحزن ، الا في ضوء الضحك الذي يمهد للوعي البهيج ، وان كان خاليا من أي انبساط !

القاهرة

أربع برقيات

د . محمد ديب

(١)

خرج البارحة أخي . ولم يعد .
لم نتعرف عليه في زحمة الوجوه المنتنة ،
وبقع الدم الناتئة في العيون .

(٢)

بيتنا المتهدم ـ كثيرا ما جمعنا وسائر العرب بيتنا المتهدم ـ
انهار على من فيه . اختلط الدم بالطين .
وحدة ناطفة لا يسمعها موتى ولا أحياء .

(٣)

لا تزال المومسات تترهل في بيروت . بيروت نفسها تترهل .
سماسرة الشرق والغرب يمضغون الملال على مدى الاسبوع ،
وبهوذا يرقص بين المئذنة والصليب في عطلة يوم السبت .

(٤)

السلام عندنا خبز القطعان المخدورة . تزينه المؤسسات برسوم من القرآن . والشيوخ والقساوسة ـ كعهدهم ـ يلهجون في بيوت الله بالابقار المقدسة .
ما حديث السلام في صحف الغرب ؟
أكتب اليّ عن السلام . السلام عليك .

د. محمد ديب
استاذ الادب الانكليزي والمقارن
بجامعة البرتا ـ كندا